الافتتاحيّة

فضّ الاشتباك بين الأولويّات

مَن يتابع شبكاتِ التواصل الاجتماعيّ في بلادنا يقع على تنافس حادّ بين القضايا العادلة على تصدّر الأولويّة:

ـ هذا يقول: أنا مع إسقاط النظام السوريّ أو تغييره، لكنْ فليسقطِ النظامُ السعوديّ أولًا... أوْ فلتسقطْ «إسرائيل» أولًا!

ـ وذاك يقول: لا يمكن أن تَسقط إسرائيل قبل إسقاط النظام السوريّ «الذي لم يطلقْ رصاصةً منَ الجولان.» ثم إنّ الأولويّة هي لإنقاذ مئات الضحايا البريئة التي تسقط يوميًّا في سوريا بسبب دمويّة النظام.

ـ وثالث يقول: يا أخي، نحن نعاني الأمرّيْن في المنطقة الشرقيّة من المملكة العربيّة السعوديّة على يد النظام السعوديّ «المحتلّ،» الذي «يحتلّ» أيضًا البحرينَ، ويحتلّ كذلك غالبيّةَ وسائل الإعلام والصحافة العربيّة.

ـ ورابع يقول: مع احترامي لكم جميعًا، فإنّ أولويّتي هي أمنُ أهلي في جنوب لبنان. هذه هي الفترة الوحيدة التي أشعر فيها، منذ عقود، بمأمنٍ من «إسرائيل.» وهذا يعود تحديدًا إلى قوة ردع المقاومة، المدعومة من النظام السوريّ وإيران.

ـ وخامس يقول: أنتم تتلهّوْن بقضايا كبرى لن تستطيعوا حلَّ أيٍّ منها لأنّ القرار ليس بيدكم. الأولويّة هي للكهرباء، والماء، والسكن، والغلاء، وزحمة السير، والإجحاف ضدّ المرأة وضدّ المثليين والمهمَّشين عامةً.

ـ وسادس، وسابع، وثامن،،، وكلٌّ واحد منهم يوكّد أنّ الأولويّة هي لقضيّته. وكلُّ واحدٍ يتسلّح بإحدى النظريّات القوميّة أو الماديّة أوالليبراليّة أو النسويّة... ليُثبتَ مقولتَه.

الكلّ محقّ في مطلبه. لا نقول ذلك من منطلق الترضية، بل لأنك لا تستطيع أن تقولَ لأيّ منهم: أجّلْ قضيتَكَ ريثما ننتهي من القضايا الأخرى «الأهمّ.»

فالأهمّ لديه هو ما يواجهه يوميًّا. قد يوافق على تأجيل قضيّته شهرًا أو سنةً أو سنتين، لا عقودًا. وقد يرضى الآن موقّتًا بتسويةٍ ما، شرطَ ألّا تُغلِقَ المجالَ أمامه للمطالبة بحقوقه كاملةً في مستقبلٍ قريب. غير أنّ من حقّه أن يرفضَ أن تتمّ التسويةُ على حسابه تمامًا... وإلى الأبد.

هناك حاجةٌ أراها ماسّةً في بلداننا إلى شكل من «الصيغ التشاوريّة» في الأولويّات، كما في أمورٍ أخرى. مثلُ هذه الصيغ يَجْمع ممثّلين من المجالات والأقطار كافّةً. الشرط الأوحد للانضمام إلى هذه الصيغة التشاوريّة أو تلك ليس إيديولوجيًّا، ولا علاقةَ له بحجم التمثيل الشعبيّ لهذا العضو أو ذاك، بل هو الصدقيّةُ الأخلاقيّة أولًا، والاطّلاعُ الوافي على القضايا المذكورة ثانيًا.

من دون هذه الصيغة ستبقى قضايانا، وكلُّها مهمّةٌ، في حالة اشتباكٍ مجّانيٍّ لا طعمَ له. وسنجد فلسطينَ وسوريا، بشكلٍ خاصّ، في نزاعٍ عبثيٍّ متواصلٍ على تصدّر الأولويّة في تفكيرنا ونشاطنا.

بيروت

سماح إدريس